خطبة صلاة الجمعة 7/3/2014 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(أخطاء شائعة– أخطاءٌ في الشَّراكات العائليَّة)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، هدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد:

فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير: قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:286].

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:135].

روى التِّرمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «**إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** [المطففين:14]»

[رواه الترمذي].

أيها الإخوة:

هذه هي الخطبة الخامسة في سلسلة:(**أخطاءٌ شائعةٌ**)

هدف السِّلسلة السَّعي لتصحيح ما استطعنا من هذه الأخطاء، فإنَّ الله تعالى لا يُهْلِكُ قريةً أهلها متناصحون مصلحون: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: 117].

تتناول السِّلسلة خطأً في العلاقات الأسريَّة مرَّةً، وشعارها: (أسرتي سكني ومسؤوليتي), وخطأً في معاملاتنا الماليَّة مرَّةً أُخرى، وشعارها: (أسواقنا مرآة ديننا).

وخطبة اليوم من النَّوع الثَّاني:

(أخطاءٌ في الشَّراكات العائليَّة)

أيها الإخوة:

الشَّراكات في المعاملات الماليَّة بين أفراد الأسرة الواحدة تزيد روابط الأسرة قوَّةً، وتدعم تكافلها وتعاضدها.

وتشكِّل الشَّركات والشَّراكات العائليَّة قيمةً اجتماعيَّةً واقتصاديَّةً في آنٍ واحدٍ، ويتأكَّد هذا إذا علمتم أنَّ الشَّركات والشَّراكات العائليَّة تساهم بنسبةٍ تتراوح بين (70 و90%) من النَّاتج الإجمالي العالمي، وفي الدُّول العربيَّة تبلغ نسبة الشَّركات العائليَّة قرابة (95%) من عدد الشَّركات العاملة.

وقد أثبتت دراساتٌ أنَّ الشَّركات المملوكة لعائلةٍ تتفوَّق على مثيلاتها غير المملوكة لعائلةٍ؛ فيما يتعلق بالمبيعات والأرباح ومعايير النُّموِّ الأخرى.

لكنَّني وجدت أنَّ بعض أخطائنا في شراكاتنا العائليَّة تُحوِّل القوَّة ضعفاً، والتَّرابط تَشَرْذُماً، والتَّعاون خصومةً، والمحبَّة جفاءً.

نادى منادي المحكمة على أطراف النِّزاع لحضور الجلسة القضائيَّة، تقدَّم مسِنٌّ سبعينيٌّ تغشاه هالة الوقار والتُّؤَدَة، ودخل خلفه شابٌّ في عشرينات عمره، جلسا أمام الدَّائرة التِّجاريَّة في مكانين منفصلين عن بعضهما.

سألهما رئيس الجلسة: أيُّكما المدَّعي؟ فأشار الشَّاب بيده، ثمَّ بادر بسرد دعواه بأنَّ المدَّعى عليه ارتكب أخطاءً إداريَّةً في إدارة الشَّركة ستُعرِّضها للمخاطر، وطلب تحميله أضرار هذه الأخطاء وتصفية الشَّركة.

بعد أن أنهى الشَّاب المدَّعي دعواه، التفت القاضي إلى المدَّعى عليه وطلب منه الإجابة على الدَّعوى.

تنهَّد الشَّيخ السَّبعينيّ بتأسفٍ، وبدأ بِعِدَّة جُمَلٍ لم يُنهها، كأنَّه متردِّدٌ بين عِدَّة أفكارٍ يَودُّ أن يبتدئ بها حديثه.

تكلَّم بما لم يكن في حسبان أحدٍ، حكا كيف بنى هذه الشَّركة بكَدْحِ سِنِيّ العمر، لتبقى مورداً لأبنائه من بعده، وأنَّه طوال هذه المسيرة المشرِّفة لم يدخل محكمةً قطُّ سِوى هذه المرَّة.

دخلها بسبب دعوى أقرب النَّاس إليه، ابنِهِ الذي أدخله شريكاً في الشَّركة من دون مقابل، أسوةً ببقية أبنائه...!

بقدر متانة الشَّراكة العائليَّة، بقدر شراسة خلافاتها.

وجدت أهم ثلاثة أخطاءٍ لنا في شراكاتنا وشركاتنا العائليَّة هي: عدم التَّبيين، وعدم التَّوثيق، وعدم الاتِّفاق من أوَّل العمل على طريقة التَّخارُج وإنهاء الشَّراكة لمن أراد إنهاءها.

أوَّلاً– عدم التَّبيين:

– فهذا ابنٌ يأخذ من والدته مبلغاً ليعمل به مشروعاً تجاريَّاً، تظنُّ الأمُّ أنَّه سيجعلها شريكةً ويقسم لها من الأرباح، ويظنُّ الابن أنَّه اقترضه منها قرضاً سيردُّه كما أخذه، ولا يتصوَّر أن تطلب منه أمُّه أرباحاً، فإذا مرَّت الأيَّام ورَدَّ المبلغ تخاصما أو قُلْ امتلأت الصُّدور بالغيظ والحنق، ولو بيَّنت وبيَّن مِن أوَّل الأمر لسلما من الخصومة؟

– وهذا أخٌ يعمل في معمل أخيه يواصل اللَّيل بالنَّهار، يسافر اليوم إلى الصِّين وغداً إلى ماليزيا وبعد غدٍ إلى المغرب لتطوير الإنتاج وفتح أسواقٍ جديدةٍ، يعتقد أن أخاه سيقسم له من هذه الصَّفقات حصص الشَّريك، ويتوقَّع أخوه أنَّه موظفٌ لديه له راتب الأجير مع مكافآتٍ مجزيةٍ، حتَّى إذا حان يوم الحساب تبرَّم كلٌّ منهما بصاحبه، وتحسَّر على ما كدَّ وتعب، ولو بيَّنا من أوَّل العمل لَسَلِمَ لهما دينُهما ودنياهما.

– وهذا أخٌ يتصرَّف في مال الإرث الذي ورثه مع سائر إخوانه وأخواته من أبيهم، يتصرَّف به تصرَّف المالك، ولا يبيِّن لإخوانه وأخواته ولا يستأذن، يُحيط عمله بالصَّمت المطبق؛ حتَّى إذا جاء يوم المساءلة كان في موضع التُّهمة.

أيها الإخوة:

اتَّفق الفقهاء على أنَّ صيغة العقد ركنٌ من أركانه، والصِّيغة: هي التَّعبير الدَّال على إرادة المتعاقدين لإنشاء العقد وإبرامه، وتكون أصلاً باللَّفظ، ويقوم مقام اللَّفظ كلُّ تصرُّفٍ يدلُّ على الإرادة كالكتابة.

فالأصل في الصِّيغة أن تقول: بعني هذه الدَّار بكذا، فأقول لك: قَبِلْتُ، أو تقول: أجِّرني هذه الدَّار بكذا، فأقول: قَبِلْتُ، أو تقول: أعرني هذه الدَّار للسُّكنى، فأقول: قَبِلْتُ، أو تقول: هبني هذه الدَّار صدقةً، فأقول: قَبِلْتُ...

وهكذا تكون الصِّيغة كاشفةً عمَّا في الضَّمير من بيعٍ أو إجارةٍ أو إعارةٍ أو صدقةٍ أو شراكةٍ...، فتقطع النِّزاع وتمنع الخصومة القادمةُ والنَّاتجةُ عن عدم البيان.

ثانياً– عدم التَّوثيق:

– فرُبَّ أبٍ أقرض ابنه المعسر ألفاً على أن يردَّها يوم يُسْرِه، فلمَّا جاء يوم السَّداد بعد سنواتٍ ردَّ الابن ثمانمائة، فلمَّا طالبه الأب بالتَّمام أكَّد الابن أنَّه اقترض ثمانمائة لا ألفاً، فتخاصما، ولم يكن بينهما وثيقة ولو كانت لرفعت الخصومة.

وربَّما مات الأب فجاء الابن بالمبلغ للورثة ليؤدِّي ما عليه، فأفادوا أنَّهم يذْكُرُون أباهم كان يقول إنَّه أقرضك ألفاً ومائتين لا ألفاً، فتنازعوا وخوَّن بعضهم الآخر، ولو كان ثَمَّت وثيقة لمنعت النِّزاع والتَّخوين.

وأفضل طُرُق التَّوثيق الكتابة والإشهاد، والأفضل أن يكون ذلك في الدَّوائر القانونيَّة الرَّسميَّة لأنَّ الإنسان ينسى، ولأنَّ الشَّيطان يوسوس فيغُرِ.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة:282]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ [البقرة:282]، وقال ربُّنا: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة:282].

عدم توثيق حصص الفرقاء في الشَّراكات، عدم توثيق الأموال المقبوضة من الشَّركة من قبل بعض الشُّركاء، عدم توثيق نسب الأرباح لكلِّ طرفٍ، عدم توثيق ملكيَّة العقارات المملوكة للشَّركة

العائليَّة... كلُّ هذه الأمور ونحوها من عدم التَّوثيق خطأ يودي بنا مراراً كثيرةً إلى خصوماتٍ ومظالم توقع العداوة والبغضاء.

كشف خبيرٌ في الشَّركات العائليَّة في بلدٍ عربيٍّ أنَّ هناك ما يعادل (450 مليار ليرةٍ سوريَّةٍ) في ذلك البلد مجمدة بسبب النِّزاعات بين أبناء الشَّركات العائليَّة.

ثالثاً– عدم الاتِّفاق على طريقة التَّخارُج وإنهاء العمل لمن أراد الخروج والإنتهاء:

إنَّ من أهم ما يقطع الخصومة بين المتشاركين من أفراد العائلة الاتِّفاقَ على بنود وآلية (التَّخارج) من الشَّركة منذ اليوم الأوَّل لإبرام اتفاق الشَّراكة، على أن يُكتَب ذلك في عقد الاشتراك ليكون وثيقةً بيد جميع الأطراف.

إنَّ عقود العمل اليوم وعقود التَّوظيف وعقود المقاولات وعقود الشَّركات تحوي مواد تتحدَّث عن طريقة التَّخارج وإنهاء العقد؛ قطعاً لخصومةٍ متوقَّعةٍ ومنعاً لشِقَاقٍ مظنونٍ، وإنَّ الأسر معنيةً أكثر من غيرها بالاتِّفاق على طريقة التَّخارج من شراكاتها العائليَّة من دون النُّزول إلى المحاكم والتَّرافع أمام القضاة، لنغيِّر ما قاله أحد الكاتبين: (القضاء معتادٌ على خصومات أبناء العمومة والأشقاء).

أيها الإخوة:

هذه أخطاءٌ ثلاثةٌ في شراكاتنا العائليَّة:

1)عدم التَّبيين.

2)وعدم التَّوثيق.

3)وعدم الاتِّفاق من أوَّل العمل على طريقة التَّخارُج وإنهاء الشَّراكة لمن أراد إنهاءها.

وعلاجها أضدادها:

1.بيان الحقوق.

2.وتوثيقها.

3.والاتِّفاق على آلية التَّخارُج.

نسأل الله أن يعيننا على تصحيح أقوالنا وأفعالنا حتَّى يعجِّل لنا بالفرج.

والحمد لله رب العالمين